التمثلات السيكولوجية للهروب في نص مسرحية (العارضة) لمحمود ابو العباس/ اختيارا

ملخص البحث : شكّل موضوع الهروب نفسيا محوراً رئيساً لهذا البحث ، لما يشكله من ارتباط وثيق بمحركات الوضع الإنساني الراهن ، فقد كان في ذلك دافعاً للباحث بأن يبحث في الدوافع والمؤسسات التي تكشف عن التمثلات النفسية التي يتبلور من خلالها تصور واضح لهذا الموضوع ، مستعينا بالطرح الادبي المسرحي الذي يشكل في ارتباطه مع هذه الظاهرة عنصرا دالاً على مسارات هذا الموضوع واشكاله المختلفة ، وبذلك أسس الباحث عنوان البحث الموسوم بـ (تمثلات الهروب السيكولوجي في نص مسرحية العارضة لمحمود ابو العباس).

الفصل الأول:

مشكلة البحث : يبرز الواقع بمعطياته الحياتية عند الإنسان بسلبياته وإيجابياته ، فيحاول ان ينسجم مع هذا الواقع لكي يتماشى مع أمور الحياة ، ولكن احياناً تحدث ضغوطات أو مشاكل أو تعقيدات في حياته تجعله يهرب من الواقع ، وقد اصبح موضوع الهروب محلا للطروحات الفنية المسرحية ، وايضاً دخل في حيز النظرية والدراسة مثلما حصل مع طروحات علم النفس وما قدمهُ العالم النمساوي (سيجموند فرويد) من دراسات مهمة تقرن حالة الاحلام، والكوابيس بمعطيات لا تنتمي للواقع بضغوطاته وقيوده، والتأسيس والانطلاق إلى عالم المخيلة والافتراض والحلم .

وقد انعكس هذا بشكل صريح على المسرح العربي في تقديمه لمعطيات هذا الموضوع ، مقدماً أسباب وتأثيره على مصير الشخصيات ، وبناءً على ما تقدم اختار – الباحث – العنوان الموسوم بـ (تمثلات الهروب السيكولوجي في نص مسرحية العارضة لمحمود ابو العباس) مقدمة سؤال مشكلة البحث الذي يتمثل بالاتي : (ما تمثلات الهروب السيكولوجي في نص مسرحية العارضة ؟)

أهمية البحث والحاجة إليه : يلقي الضوء على تمثلات الهروب السيكولوجية في نص مسرحية العارضة لمحمود ابو العباس .

ويفيد المشتغلين في المشهد المسرحي سواء الفنانين ام دارسي الفن المسرحي في المعاهد والكليات المتخصصة

.

أهداف البحث :الكشف عن تمثلات الهروب السايكلوجية في نص مسرحية العارضة التي تتماز بالهروب من شخصيتي المسرحية .

حدود البحث الزمني : ٢٠٠٠ م .
الحد المكاني : الامارات العربية المتحدة

حدود البحث : تمثلات الهروب في نص مسرحية العارضة لمحمود ابو العباس .

٢- تحديد المصطلحـات :

السيكولوجية :

أ ـ علم النفس psychology مشتق من كلمتين يونانيتين وهما psyche بمعنى الروح أو العقل و logos تعني العلم أو الدراسات[١] .

ب ـ عرف علم النفس على انه " العلم الذي يبحث في السلوك من حيث علاقته بالحياة العقلية والنفسية شعورية كانت اولا شعورية "[٢] .

(هروب Escapism ، الواقع The reality، تمثلاتExamples) .

١- الهروب : لغوياً يتكون من ((الهاء والراء والباء كلمة واحدة ، هي هَرَب إذا فَرَّ ، وما له هاربٌ : لا قاربٌ ، أي صادرٌ عن الماء ولا وارد ، أي لا شيء له))[٣] .

في حين يعّرف (الهروب) في معجم المصطلحات العربية بأنهُ ((نزعة ادبية الغرض منها الابتعاد عن كل ما هو مألوف ، والالتجاء إلى ما هو غريب أو أبهج أو أنقى من واقع الحياة))[٤] .

ويعّرف (الهروب) إجرائياً : حالة ما بين الايجاب والسلب تتسم بالمغايرة ، واللجوء لاعتماد وسائل غير مألوفة أو غريبة ، أو أسمى من واقع الحياة أو ادنى منها في أسلوب الطرح الفكري والفني للنص المسرحي .

٣- التمثلات : يعرّفه (الرازي) في اللغة بأنه ((مثل : مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله كما يقال : شبهه وشبيهه ومثّل له تمثلاً : إذا صور له مثاله بالكتابة أو غيرها))[٥] .

وفلسفياً يقصد بـ ((التمثل أو التصور مختلف الطرق التي بها تصبح الموضوعات الفكرية ماثلة من جديد امام الفكر ، ويقصد به ايضا الطرق التي يستحضر بها الفكر الموضوعات الخارجية حتى في حالة غيابها وعدم وجودها))[٦] .

وفي علم النفس فقد ربط (فرويد) ((التمثل ببطل العمل الادبي ظاهرة لها جذورها في اللاوعي تدخل ضمن البحث عن المتعة وتؤدي الى التطهير))[٧] ، وعموما فأن (التمثل) ((يدّل على عملية بسيكولوجية غير واعية يميل الانسان من خلالها الى التشبه بإنسان آخر ، وهي جزء هام من آلية تكوّن الشخصية عند الطفل))[٨] .

ويعرف (التمثل) اجرائيا : تمثّل الشيء ومقاربة صورته لما يراه المبدع في صياغة افكاره داخل النص المسرحي .

الفصل الثاني

تمثلات الهروب على وفق نظرية فرويد :

ترتبط موضوعة الهروب في الدراسات النفسية بتمثلات لها صلة ببعض آراء علماء النفس التي بإمكانها أن تقدم مقترباً لفهم موضوعة الهروب لدى الشخصية ، ومن هؤلاء

العالم النفسي (سيجموند فرويد *) الذي تعددت نظرياته النفسية وتنوعت في طرحها للمشاكل النفسية ومفاهيمها ، ولعل دراسته حول (الأحلام) أحد تلك الحالات التي تتصل بمقاربة الهروب من الواقع لدى الشخصية وتوجهها صوب واقع آخر ، ويتم ذلك عبر تمثُّل هروبي مؤقت ، لذا ارتأى – الباحث – أن تطلق على هذا النوع من الهروب بـ (الهروب المؤقت) لتحقيق هدف الحلم المتمثل بالهروب ، إذ ان ((هدف القسم الأكبر من عمل الحلم Travail darer هو خلق مراحل انتقالية التي هي أحياناً حاذقة جداً ولكنها غالباً ما تبدو لنا قسرية . أنها تصلح لتأسيس حالة التداعي التي توجد بين مضمون الحلم والفكرة الكامنة بذاتها ، المختلفة في شكلها وفي مادتها والتي تم اعدادها بواسطة الظروف التي جلبت الحلم))[٩] ، ويعّد الحلم على هذا الأساس مرحلة هروبية انتقالية تفترض استبدال شكل جامد غير قابل للتحريك بشكل آخر مرن يمنح الشخصية ظروفا بديلة لظروفها الحقيقية وغالباً ما تتصل هذه الظروف بأمور تمّر بها الشخصية على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي ، وانطلاقا من ذلك يرى (فرويد) الحلم على انه ((قابلية التصوير المتحرر من الرقابة . ولكي يصل إلى هدفه يتبع الطريق التي يجدها ممهدة أمامه من قبل اللاشعور ، وتؤثر تلك التحويلات في المادة المكبوتة التي يمكن ان تظهر للشعور في صورة النكات والتلميحات التي تزدحم بها كل تخيلات العصابيين *))[١٠] .

أن تحديد (فرويد) لهذه المادة المكبوتة لتخيلات العصابيين تعود الى رؤيته في ((ان الاحلام تشبه المرض العقلي ، لان المرض العقلي فيه ابتعاد عن الواقع ، ثم اغراق في خيالات وافكار داخلية))[١١] ، لأن هذه الحالة الهروبية ليست حالة إيجابية لأنها لا تفترض وجود واقع مغاير إزاء الواقع الفعلي الذي هربت منه الشخصية ، وهذا ما يتميز به العصابي من افكار وخيالات تبعده عن الواقع للشعور باللذة ، وهو بذلك يفضّل اللذة على ألم الواقع ، ويتم ذلك حسب (فرويد) ((بواسطة التركيز والاستبدال أن يحصر اللذة بإحساس واحد ، وهناك اهمال للفرق بين الخيال والحقيقة . وإذ يعيش المرء في عالم من الخيال فيميل إلى اتخاذ خيالاته كحقائق . وبعبارة اخرى أن لخيالات العصابي " حقيقة

نفسية " ، وهذه الحقيقة النفسية في عالم العصاب تعتبر العامل الحاسم))[١٢] ، وهذا يعني أن القوة الضاغطة من الواقع عندما تزيد طاقتها على الشخصية فأنها ستميل به إلى هذا النوع من الخيالات العصابية ، لأن الأخير لا يمتلك الإمكانيات لمجابهة هذا الواقع ، فلذلك هو الان يمّر بفترة من الاندحار والهزيمة إزاء إمكانية تغيير الواقع ، فيكون الخيال العصابي هو البديل ولكنه نتيجة للانغماس يصبح وكأنهُ الحقيقة ، فتبقى الشخصية تخدع نفسها بهذا ، حيث تنسى أنه الخيال وكأنه الحقيقة ، فيكون لها بمثابة الحقيقة النفسية ، وبهذا يتخذ من تمثّل الاحلام مهرباً لتحقيق مالا يستطيع تحقيقه على أرض الواقع ، وهذا ما يعزز من فكرة الحقيقة النفسية ، ولذلك فقد عدّ (فرويد) الأحـلام ((أفعالاً نفسية لها من المعنى مثل ما لغيرها . وأن القوة الدافعة إليها هي في كل حالة رغبة تسعى إلى التحقيق. فالعنصر المتحكم في الأفكار الكامنة للحلم هي النزعة المكبوتة. وهذه النزعة (...) تحاول جاهدة أن تشبع نفسها عن طريق الحركة. ولكنها تجد طريق التصريف الحركي مقفلاً بفعل الخاصية الفسلجية لحالة النوم ، ولهذا تضطر إلى الارتداد إلى مستوى الادراك الحسي ، فتتحول الافكار الكامنة في الحلم إلى مجموعة من صور حية ومناظر بصرية ، وحينذاك يحصل للنزعة المكبوتة اشباع وهمي))[١٣] ، وهذا ما يكرس ما للحلم من نزعة هروبية مؤقتة ، وما يعزز هذه النزعة أيضاً ما يتم عِبرَ احلام اليقظة ، فهذه الأحلام ((تشبه أحلام النوم في كثير من الوجوه ، أهمها أنها مجال للتعبير عن النزعات التي لا يمكن تحقيقها في حياة الواقع . فالشخص الذي يسعى الى الطموح ويجد السبل أمامه غير ميسّرة ، يشرد ذهنه ويرى نفسه خطيباً مفوهاً أو مخترعاً ذائع الصيت ، أو يرى نفسه رجلاً غنياً عريض الجاه واسع الثراء))[١٤] ، يجد (فرويد) في حلم اليقظة بأن الحالم ((يملك المهارة الملغزة كي يقولب مادته الخاصة به ، إلى ان يعبّر بثقة عن أفكار احلام اليقظة المتعلق به ، ثم يعرف كيف يربط تيار اللذة بهذا الانعكاس المتعلق بحياة احلام اليقظة بشكل قوي ، إلى أن تترجح حالات الكبت وتنقشع . وعندما يستطيع القيام بكل ذلك ، يكشف للآخرين عن طريق العودة إلى الراحة والعزاء الخاص بمصادرهم الذاتية اللاواعية

والمتعلقة باللذة (...) ويربح ايضا خلال حلم اليقظة ما ربحه قبلا فقط بواسطة حلم اليقظة : الاكرام والسلطة))[١٥] ، وهذه المغريات يحققها فقط في حلم اليقظة بعيداً عن الواقع .

وهناك نوع آخر من الهروب يتمثل بصيغة التمني في الاحلام ، وتوجد مقارنات جزئية للواقع والهروب من الواقع كما يكشف النص الاتي : ((آه لو دامت النزهة على الماء فترة اطول ! ليتني نهضت ولبست ثيابي قبل الان! ليتني اكلت الكرز كله بدل أن اقدمه لعمي ! (.) لكن الحلم لا يقف عند صيغة التمني هذه ، بل يتجاوزها ايضا الى تحقيق الرغبة ، ويقدم لنا هذا التحقيق في شكل واقعي وراهن . وغالبا ما تتمثل المواد التي يستخدمها الحلم لتصوير تحقيق الرغبة في مواقف وصور حواسيه ، مرئية على الدوام تقريباً))[١٦] ، وفي المخطط التالي كشفاً لجزئيات الواقع وهروبه من النص المذكور سلفاً :

الواقع	الهروب
عدم العمل	ليتني أعمل
عدم لبس الثياب	ليتني لبست
عدم اكل التفاح	ليتني اكلت التفاح

يرى (فرويد) ان الدخول الى الحلم هو الرغبة بالهروب إلى النوم والانسحاب المتعمد من العالم الخارجي ، لما ينتج عنه من آلام يعيشها المرء وظروف حياتية قاسية ، وينجم عن ذلك الامر أن تتاح الفرصة لأساليب النشاط القديمة ان تفصح عن نفسها اي النكوص ، وثانياً نقص المقاومة الكابتة التي تثقل على اللاشعور ، وهذه الاخيرة تتيح فرصة لأن يصاغ فيها حلم بفعل منبهات داخلية وخارجية تؤثر في النائم وتعتمل في نفسه ، فيتمثل ذلك الهروب عبر الحلم [١٧] .

في حين يعّد (النكوص *) تمّثُلاً آخر للهروب من الواقع تعتادهُ الشخصية في معالجة حالات أو احراجات تمّر به الشخصية ولذلك اطلق عليه علماء النفس ومن ضمنهم

(فرويد) بـ (النكوص) ، أذ ان ((للهرب أساليب اخرى كالنكوص (أو التراجع) . فإذا اصطدم انسان بمشكلة يصعب عليه التغلب عليها ، فأنهُ يرتد احياناً إلى الوراء . ومعنى هذا انه يرتد في الغالب إلى أسلوب اعتاده في طفولته . والسر في ذلك ان الشخص إذا واجه مشكلة ولم يتمكن من التغلب عليها ، فانه يفقد اطمئنانه أو اتزانه ، فيرجع إلى أسلوب قديم كان قد اعتاد ان يسلكه فيحصل على الطمأنينة))[١٨] ، أن (النكوص) الذي يُعِين الشخصية على الهروب من واقعها لا يمثّل دائماً حالة إيجابية لأنهُ لا يمنح الشخصية القدرة الحقيقية على إيجاد العلاج المناسب للموقف المناسب ، وانما تعود الشخصية لتتصرف تصرفاً كأن يكون طفولياً تعودت عليه الشخصية منذ الطفولة أو تصرف بدائي ، لذلك يكون (النكوص) بمثابة ((رد فعل على مأزق لا يجد له مخرجاً ، ولا تؤمن له إشباعاً لحاجاته الحيوية ، فينكص إلى أساليب اكثر بدائية في مجابهة الواقع))[١٩] .

ومع تمثل (النكوص) يدعو (فرويد) للهروب الى المرض ، عبر الامراض العصابية ، وذلك لأنه يدل ((على محاولة الفرد للاحتماء في العصاب كوسيلة للهروب من صراعاته النفسية ؛ أي أن الفرد يحاول إيجاد وسيلة لخفض التوتر المتولد من وضعية صراعية من خلال تكوين الاعراض))[٢٠] ، أذن للعصاب أهمية في تأسيس تمّثل حالة الهروب من الواقع لدى الشخصية ، وقد أكد (فرويد) على أن (العصاب) ذو نوع هروبي من خلال ما قدم في كتاباته التي تثبت هذا الأمر ، فقد كتب يقول ((إن العصاب ، في زمننا هذا ، يحل محل الدير الذي كان فيه ، عادة ، ينعزل كل من كان يخيب أمله بالحياة أو الذين كانوا يشعرون بأنهم ضعفاء امام الحياة))[٢١] ، وهذا يعني أيضاً ان بعض أنواع الزُهد في الحياة لم يأتي من شعوره بالإيمان ، وإنما يمكن عدّهِ إلى هذا النوع من الهروب ، كما عند الرهبان في الديانة المسيحية أو الأنعزال عند البوذيين .

ومن حالات أخرى للعصاب يُلحظ تمثلها بـ (التقمص) أحد تلك الامراض التي تجعل المرء في عزلة عن هذا الواقع ، ويعيش واقعه المفترض وحده ، بعيداً عما يعكّر صفو

مزاجه أو يجعله يعيش القلق والمعاناة ، فنلاحظ الفرد الذي يكون ((في حالة التقمص يتخذ لنفسه ما في غيره من صفات "حميدة " يتوحد معها ويعيش فيها : فالإنسان في هذه العملية يسعى لأن يجعل من نفسه على صورة غيره ، بأن يضم إلى نفسه خصائص شخصية آخر من سلوك أو افكار او انفعالات عاطفية فيشعر بانه قد أصبح ، في الخيال والوهم ، نفس الشخصية التي تقمصها))[٢٢] ، فالشخصية التي تتقمص تكون ذاتها راغبة في ذلك التقمص لأنها تجد في ذلك التقمص ((إشباع بعض دوافعه فهو وسيلة هامة لتحقيق الرغبات التي لا يمكن من تحقيقها بنفسه ، فيقنع بتحقيقها في حياة الآخر الذي تقمصه ويرضاها لنفسه وكأنهُ هو الذي قام بها . فيشعر بالتالي بانخفاض التوتر والقلق لديه))[٢٣] .

وهنا سيتم الهروب من واقع يعيشه إلى اخر مفترض ليس الواقع ذاته الذي يعيشه ، من خلال صراع الشخصية القائم على عامل الشعور واللاشعور ، فالشعور يتجلى في حالة الواقع وضمن محيطه ولا يبتعد عنه ويمثل ((الجانب الظاهر من الشخصية ، وهي شعورية ، أي أن مكوناتها يمكن الشعور بها أو بآثارها ، وهي منطقة خلقية ، أي تميل إلى أن تكون تصرفاتها في حدود المبادئ الخلقية التي يقرها عالم الواقع ، وهي تتصل بعالم الواقع لتحقيق النزعات الغريزية بالصورة التي تراها خلقية معقولة))[٢٤] ، في حين أن (الانا الأعلى) على الرغم من أنها لاشعورية إلا انها تجسد قمة مثالية الواقع بكل أطُره وأنظمته ، فهي ((الناقد الخلقي الأعلى الذي يشعر (الأنا) بالخطيئة))[٢٥] ، إذن تجعل الأنا يرتد عن فعل كل ما له علاقة بالابتعاد عن الواقع وتجعله ضمن محيطه .

اما (الهو) فهو اللاشعور ويمّثل الهروب من الواقع والابتعاد عنه وعن محيطه ويتم ذلك من خلال الضغط الديناميكي على (الانا) وترغيبه من اجل الحصول على اللذة وتعّد (الهو) ((قوة جموح ، تجتمع فيها الغرائز والشهوات التي تزين الهوى لـ (أنا) وهي لا تتجه وفق المبادئ الخلقية ، وانما تسير على قاعدة تحقيق اللذة والابتعاد عن الألم ، وهي لا تتقيد بقيود منطقية ، ومن مركباتها النزعات الفطرية الوراثية والمكبوتة ، واهم هذه

المركبّات – بحسب رأي فرويد – النزعة الجنسية . ومن اهم خصائص هذه المنطقة الثالثة انها لا شعورية))[٢٦] ، ولذلك فأن (فرويد) قد أوضح ان الشخصية ((نتاج تفاعل العوامل البيولوجية مع العوامل الاجتماعية ، وأن الشخصية هي ميدان لصراع موصول بين عدد القوى الشعورية واللاشعورية ، وهو صراع قد ينتهي بتكوين الشخصية المتزنة ، أو تكون نتيجة الاضطراب النفسي))[٢٧] .

وهنالك تمثّل آخر من الهروب عند (فرويد) عبر ما يطلق عليه بـ (الكبت *) ، الذي يحاول من خلال هذا الأخير ، الهروب من الألآم التي تحيط بالإنسان ، ويمكن تسمية ذلك الهروب باللاإرادي ، فالإنسان ((يميل إلى ـ دون إرادة منه ـ إلى الخلاص مما يؤذيه ويؤلمه ، وبعبارة أخرى نستطيع القول أن العقل بطبيعة تكوينه يميل إلى أن يبعد عن حياتنا الشعورية ، ما يسبب لنا الضيق ، وما يتنافى مع مثلنا الخلقية والاجتماعية ، ولكل ما من شأنه أن يمس احترامنا لأنفسنا . يحدث كل ذلك بطريقة آلية تلقائية لا شعورية . وتعرف تلك العملية اللاشعورية "بالكبت" فنحن لانعرف إننا نكبت ، أو ماذا نكبت ، أو لماذا نكبت))[٢٨] ، وهذا الكبت ينشأ نتيجة صراع عقلي ينتج عنه استنفاذ جزء كبير من الطاقة الجسمانية والنفسية ، ولهذا فأن الكبت يُكمن في إبعاد الافكار المؤلمة عن النفس ، ومحاولة الابعاد هي في الواقع فصل للدوافع والذكريات عن الشعور ، والفصل هذا يكون نتيجة للصراع العقلي ، ويستمر هذا الصراع بطريقة لا شعورية [٢٩] .

وهناك ثمة تمثلاً آخر للهروب عند (فرويد) هو عملية (التبرير) التي تعّد أسلوباً دفاعياً وهروبا في الوقت نفسه ، إذ نرى في بعض الأحيان عملية التبرير المستمرة عند شخصية ما ، تكون من اجل تقديم اعذار تبدو للآخر منطقية ومقبولة ، و ((يبدو التبرير في حدود ضيقة امراً مقبولاً لا ضرر فيه. ولكن اذا تمادى الفرد في التبرير فأنه يبتعد عن الواقع ولا يستطيع مواجهة مشكلاته مواجهة إيجابية))[٣٠] ، لاسيما اذا كان ذلك التبرير المتمادي به نتيجة لموقف خاطئ قام به الفرد ، فأنه يحتاج لجهود فكرية كثيفة من اجل تبرير الموقف ، وكلما زادت هذه الكثافة كلما ازدادت مسافة الهروب من الواقع ، ولذلك ((يُلاحظ أن

التبرير فيه دفاع عن الذات وهرب من اللوم . ونلاحظ عادة أن الحيل النفسية تكون في أغلب الأحيان هروبية دفاعية في نفس الوقت. ففي النسيان هرب من الواقع وحماية للنفس من آلامه))[٣١].

وهناك آلية أخرى للهروب من الواقع تتجلى بآلية التعويض عبر الهرب من الشعور بالنقص ، فيتجه اتجاهاً إيجابياً لإثبات الذات ، ولكن هنا يمثل هذا نوع من الهروب الإيجابي لأنهُ يجد معالجة ويضع الحل ، وليس من المستحسن فصل الحيل النفسية الى أنواع ، فبعضها هروبي صرف وبعضها دفاعي صرف. والنوعان يوجدان عادة مختلطين إلا في القليل النادر [٣٢] .

الى جانب ما ذُكر فأن هناك تمثلاً آخر للهروب من الواقع ، وهو (الذهان) بسبب ما يمّر به الذهاني من هلوسات وانقطاع تام عن الواقع ، فـ ((الاضطراب يصيب حياته الانفعالية والعاطفية والعقلية ، ويصل هذا الاضطراب إلى درجة كبيرة من الاختلال في بعض الحالات مما يجعلهُ غير مسؤول من الناحية القانونية ، عما يصدر منهُ من أفعال خطرة بالذات وبالآخرين . أن الذهانيين بشرٌ فقدوا صلتهم بالواقع وتحولوا إلى مجانين بالمعنى القانوني . ويفترض ـ بالطبع ـ أن الاختلال الذي يصيب الذهاني يحرمهُ من الاستبصار بحالته))[٣٣]، ولهذا تكون (الانا) في حالة الذهان تحت سيطرة الرغبة اللاواعية ويعجز عن كبتها كبتا جزئياً كما في العصاب ، وهنا ستثُبَت الصلة بين الانا والعالم الخارجي ويباشر اللاوعي ببناء واقع وهمي بديل عن الواقع الأصلي وبذلك يفقد التماس مع الواقع [٣٤] ، وبذلك فأن الذهان يمثّل مرضاً نفسياً نتيجة لأوضاع وظروف قاسية ، لا قدرة للشخص على تحملّها أو استيعابها فيحدث الخلل ، وهذا هو نتيجة وليس وسيلة ، ويعّد من الهروب السلبي ، كونه لا يُغير من الواقع الحالي .

ما اسفر عنه الاطار النظري :

١- الهروب النكوصي : وهو حيلة دفاعية هروبية تعتاده الشخصية في معالجة حالات حرجة تمر بها ، تجعلها ترتد الى أسلوب طفولي ويتمثل هذا النكوص في طروحات (فرويد) .

٢- الهروب التبريري : يمتاز هذا التمثل بأسلوب دفاعي وهروبي في الوقت ذاته فإن تمادى الفرد في التبرير ابتعد عن الواقع ، ويظهر ذلك عند (فرويد) .

٣- الهروب المؤقت : ينفرد هذا التمثل بمنح الفرد العيش في لحظات مستقبلية هروبية مؤقتة مثلما يحصل ذلك في الأحلام الطبيعية التي يحلم بها الفرد ويتجسد هذا التمثل عند عالم النفس (فرويد) .

الفصل الثالث : عينة البحث : سيقوم الباحث بتحليل عينّة البحث على وفق المعايير الاتية : (الهروب المؤقت ، الهروب النكوصي ، الهروب التبريري) .

الفصل الثالث

حكاية مسرحية العارضة / محمود ابو العباس *

رجل يعاني من عدم القدرة على القيام بواجباته الاسرية ماديا فهو عاطل بعد ان افنى زهرة شبابه في العسكرية ابان الحروب العبثية للوطن ، فضلا عن السلطة الغاشمة القاهرة المتمثلة برجالها القساة الذين يطبقون القوانين بغض النظر ان كانت انسانية او غير انسانية .

فيهرب الى حيث الصحراء ويضع عارضة ليطبق ماهرب منه أي استبدال لمراكز السلطة او هي اعادة تمثيل للسلطة وكأنها حالة من التعويض للذي فقده هناك في المدينة من

داخل البيت الذي يفرض عليه كرجل رب اسرة ان يقوم بكامل مسؤولياته تجاه اسرته ومن خارج البيت حيث القمع والحرمان والإذلال فأصبحت المدينة خاوية فاقدة لمضمونها الانساني "وعارضتي هذه التي ستجلب لي السعادة .. هنا .. وسأوزع فيها من سعادتي للناس السعادة " (٣٥) .

ويصادف رجلا اخر هاربا من المدينة ولاسباب اخرى اذ كان قائدا في الجيش وبدا ضميره يؤنبه ازاء تصرفاته اللانسانية تجاه معيته في الجيش "الثاني : البكاء غسول الذنوب " (٣٦)

وفي الاخير يقتل الاول نفسه بسكينه ليبقى الثاني حام العارضة وكان الحياة تدور في حلقة مفرغة بين الامر والمأمور او الحاكم والمحكوم وفي الاخير الكل هارب بشكل او بآخر .

التحليل

للهروب مبرراته ومنها: اولا الشعور بعدم الامان والخوف من المجهول جراء الحروب او سطوة الاخر سواء كان فردا ام جماعة ام سلطة جائرة.

وثانيا:عدم قدرة الانسان على مواجهة قسوة الحياة. عندما لا يستطيع على التحصل على قوت يومه له ولعياله، لذا تنجرح رجولته الشرقية المبنية على النسق الذكوري كرب اسرة عليه كل شيء، هذه الاشكالية الكبيرة التي وضع الرجل نفسه فيها، وعليه ان يواجه احدى الحالتين، اما الانكسار وإعلان العجز امام زوجته وأولاده، واما الهروب .

إنَّ للمكان حضوراً قوياً وفاعلاً في النفس الانسانية، اذ يرتبط بوعي الانسان ومنذ نعومة اظفاره، فيختزن في ذاكرته اشياء كثيرة من العواطف والذكريات الايجابية والسلبية، كما يختزن في مخيلته العديد من جزيئات هذا المكان، صغيرة كانت ام كبيرة، وتظل محبوسة

في ذاكرته، حتى يجد لها المتنفس ولو بعد حين، فالمكان ليس مجرد فسحة، او قطعة أرض، او حيزاً جغرافياً لا يعني شيئاً لهذا الانسان بل هو جزء لا يتجزأ من حياته.

، وهناك نوعان من الامكنة : الاليف والمعادي .

الاول وهو المكان الذي يشعر به الانسان بالراحة، والأمن والأمان، لوجود الاحبة والاصدقاء ، وقد يتمثل بالمدينة . والثاني كالصحراء هذه الامتدادات الواسعة، المجدبة، والخالية من مقومات الحياة الانسانية. فكيف اذا اصبح الاليف معاديا والمعادي اليفا ؟

ولا يمكن فصل المكان عن المتغيرات في الاطار العام، سياسية كانت ام اقتصادية. فالاحساس بالغربة في الوطن، او محاولة التخلص من هذا الاحساس عن طريق الرحيل عنه، انما هو وليد الشعور بالوحدة، وانعدام الامن او الاحساس بالظلم وعدم الانصاف، والاهمال .هذا ما وجدته الشخصية الاولى لوجود مبررات رؤيتها للمكان اذ تقول:

(هربت من المدينة .. بعد أن اكتظت بالدموع التي أنثرها مثل الزنابق فوق تلك الأرصفة التي ازدحم فيها الناس وهم يفتشون في الإسفلت عن قوت يومهم .. لم تزدحم هذه المدينة بكل هذا الفراغ .. أناس لا تسمع أصواتهم . وبيوت شيدوها للغربان .. والنمل والجرذان والصراصير (يصرخ) لا تسألي لما فارقتك أيتها المدينة .. يا مدينة .. يا مدينة .. يا أرض يا حزينة .. يا خراب .. يا بيوت .. يا أزقة .. يا مرتزقة .. آه اللعنة .. المرتزقة أولئك الرجال طويلي القامة والشوارب والأيادي والأعناق .. مزقوني .. أهلكوني .. وحرموا علي أن أضع شبراً على الأرض مسكناً لي ولأطفالي الذين تركتهم .. بعدما أن قصمت ظهري مسؤولية توفير لقمة الخبز(٣٧)

وما يؤكد بكاء هذا المتسلح بسكين يقاتل بها من اجل وطن موهوم في صحراء قاتلة على الرغم من تمثيله حالة التماسك، والقوة هي مغادرة رجولته التي تركها ماثلة امام زوجته في بيته .والاستعداد للقتال من اجل حلم برئاسة دولة على ارض لامقومات لقيام دولة عليها،

انما حالة اشباع لرغبات مكبوتة، او لحلم بالحياة الافضل حيث العزة والقوة التي فقدها في مدينته التي هرب منها، وهذا هروب مؤقت :

الثاني : تحارب من بهذه العارضة ؟

الأول : جيوش قادمة تتسلح بالحراب .. والقذائف .. سأمزقها بسكيني هذه .

الثاني : أي سكين هذه التي ستنحر كل هذه الرقاب ؟

الأول : عنفواني وقوتي .. بإرادتي .. وجوقة من الأغبياء هم أحلامي وعفونة الأسلاف ..(يبكي))

الثاني : تبكي !

الأول : أجل أبكي .. لا أغلى من دموع الرجل .. ولكن حين تغادرك الرجولة فما عليك الا أن تسكن أرضاً لا بشر فيها.. أو في صندوق من جليد . (٣٨)

الاعلان عن حالة قتال مع اوهام ، بسكين ازاء جيوش و قذائف، فهي حيلة تبريرية عن حالة عجز لإقناع نفسه والآخر انه قوي ، لكن سرعان ما ينهار الحلم، ويبكي على واقع يعي خطورته . فقد ورث عن اسلافه كل هذه الاشكالات الوجودية .

" الثاني : كلنا خونه

الأول : أنت الآن في منطقة عقلي وعليك أن تتفق معي.

الثاني : لا أود الحديث مع أحد .. سأغادر .

الأول : تغادر .. ؟ الى أين ؟

الثاني : الى حيث الهروب من حزني .

الأول : حزين على ماذا ، وأنت تقف بملء قامتك .

الثاني : نحن عيون مفتوحة ، وأنوف تشم الهواء وأقدام لا تدري المسير .. (٣٩)

الثاني ايضا في حالة هروب من ماضيه العسكري القاسي، الذي يحاسب عليه في الحاضر، وهو هروب سلبي ، لعدم القدرة على المواجهة ، فكلاهما في حالة هروب الى الامام لا رجعة فيه.

ونرى النكوص الى الماضي حيث الطفولة وصفاء النفس، و لاشيء يعكر صفو الحياة .لا مسؤولية عائلة ولا واقع قاس ، فقط اللعب بلا انقطاع، و والهروب الى الماضي كمتنفس لان الحاضر تعيس وهي حالة نفسية تعويضية عن الواقع المفروض، ولا قدرة على تغييره :

الأول : أذن عليك ، أن تبدأ معي .. من البداية .

الثاني :أية بداية ؟

الأول : طفولتي .. عليك أن تعيد طفولتي لي . ((يذهب الى الجانب الآخر من العارضة ويصعد فوقها))..مرجحني . .أليست فكرة ذكية أن تحول العارضة الى أرجوحة(٤٠)

اما الهروب الاخير، فهو الانتحار عن طريق غرس السكين الممسك بها الثاني كحل لكل ما في الحياة من قسوة الى حيث اللاشيء او الانفصال التام عن الواقع ، وهو هروب سلبي اذ لاشيء بعده إلا الموت

((يقترب الأول من الثاني ممسكاً يده والسكين ، يضحك ثم يغرس السكين في جسده وهي في يده الثانية الذي يرفعها وكأنه لا يصدق هذه اللعبة التي لعبها معه))

الأول : ((مترنما)) دم .. ((يضحك)) اذن هو الخلاص . انتحر ولكن ليس بيدي

((يبدأ بالهرولة حول العارضة يدور دورتين أو ثلاثة .يحس بالتعب ينهكه وأثناء ذلك يصرخ الثاني بجنون))

الثاني : توقف .. توقف .. ((يركض خلفه))

الاول : دعني فالركض يساعد في النزف أكثر ويقرب منيتي .

((يضحك ويتحرك بسرعة))

الثاني : الى أين ؟ .. يا .. سقراط

الأول : أطبق نصيحتي على الرجل الذي التقيته أنت عند مجيئك. نصحته بالركض وهو مجروح ((يخرج ضاحكاً)) (٤١)

الاسراع في الموت عن طريق الركض وهو جريح كانه استعجال في الهروب او انهاء مسرحية الحياة البلهاء المذلة والجارحة لكينونة الرجل الشرقي الذي يعد راس ماله رجولته وقوته وسطوته .

وفي الحوارات أعلاه تأكيد على ان ما بعد خسارة الاول لعائلته وهو موضوع شديد الوطأة على النفس او انطفاء الامل المنشود بعائلة وابناء ، هو نوع من أنواع الذهاب باتجاه لحظة هي أيضاً هروبية وان كانت لحظة باتجاه العودة إلى الماضي ، هنا نوع من الهروب ولكن هروب فيه محاولات لإيجاد تبريرات للشخصية ، أن تضع تبريرات لما وقع وحصل من احداث أليمة ، فهذه هي طاقته ، كان كل قدرته أن يجد لقمة كريمة لعائلته ، ، يُلحظ أن قضية الهروب تتمحور حول هذا الموضوع في هذه الحادثة التي تستذكرها الشخصيات وتذهب باتجاه إيجاد التبريرات من أجل التطهير وتبرئة النفس في كون الشخصيات لم تكن السبب، وانما الظروف ، وقساوة الحياة هما السبب في ذلك .

والباعث لكل انواع الهروب هو الضعف النفسي وعدم القدرة على مواجهة الواقع بشكل مباشر مما يدفع بالانسان – الضعيف نفسيا – الى ايجاد مبررات واليات (حيل دفاعية)

لتكون قناعا يتستر خلفه وللتنفيس عما يعتمله من قهر ويأس يستبدل بهروب اما مؤقت وهو الاحلام لنسيان الواقع او الهروب التام كالانعزال او الانتقال من مكان الواقع الى مكان بديل والنتيجة هو هروب من المواجهة .

الفصل الرابع : اولاً : النتائج :

١- تمثل (الهروب المؤقت) عبر أحلام اليقظة في النص بأمنيات الاول التي لا يمكن تحقيقها على ارض الواقع .

٢- تمثل (الهروب التبريري) عبر شخصية الاول في محاولة منه الدفاع عن عمله .

٣- وتمثل الهروب النكوصي في النص عبر شخصية الاول للعودة الى مرحلة الطفولة .

ثانياً : الاستنتاجات : تتضح في التجربة العربية ان تمثلات الهروب عند عالم النفس (فرويد) جاءت متوافقة مع تمثلات الهروب في مسرحية (العارضة) وما ينتج عنها من تصورات للهروب من الواقع .

الهوامش

(١) محمد رجب البرمي ، علم النفس (بيروت : دار الكتاب العلمة ، ١٩٩٦م)، ص.٤
(٢) منصور حسين ، محمد مصطفى زيدان ، الطفل والمراهق ، (القاهرة : مكتبة النهضه المصرية ، الطبعة الاولى، ١٩٨٢)، ص ٢١.

(٣) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، (بيروت : دار احياء التراث العربي للنشر ، ٢٠٠٨) ، ص ١٠٣٠ .
(٤) مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان للتوزيع والنشر ، ١٩٨٤) ، ص ٤٢٥ .
(٥) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، معجم مختار الصحاح ، ط٢ ، (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ٢٠١٤) ، ص ٣٧٦ .
(٦) جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (تونس :دار الجنوب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) ص ٣٧٦
(٧) د. ماري الياس و د. حنان قصاب حسن ، المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٧ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
(*) سيجموند فرويد (١٨٥٦ م – ١٩٣٩ م) : عالم نفس نمساوي ، ، وكان قد بدأ حياته كطبيب ثم سافر الى فرنسا ليدرس بعض الامراض العصبية ثمن عاد الى فيينا ، وقد اجبر (فرويد) على أن يترك منزله في فيينا عندما ضمت ألمانيا النازية النمسا عام (١٩٣٨) وهاجر مع اسرته إلى لندن ، وقضى السنوات الخمسين الأخيرة من حياته في البحوث الطبية والنفسية ، ومن مؤلفاته : (الحلم وتأويله ، مدخل الى التحليل النفسي ، سيكولوجية تفسير الأحلام وآراء علماء النفس) . ينظر : أيفان وارد ، أوسكار زاريت ، التحليل النفسي ، ترجمة : جمال الجزيري ، ط ١ ، (القاهرة : المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٥) ، ص ١٦–١٧ .
(٩) سيجموند فرويد واخرون ، علم النفس والنظريات الحديثة ، ترجمة : فارس متري ظاهر ، (بيروت : دار القلم للطبع والنشر والتوزيع ، ب ت) ، ص ٦٢ .
(*) العصاب : "حالة من القلق والفراغ (الضياع) والتشنج والضغوط . ويمكن ان تظهر هذه الحالات جميعها على المستوى المعنوي (أفكار ، تخيلات ، كلام) ، أو الجسدي (عوارض جسمية) ". د. فيصل عباس ، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية : النظرية – التقنية –

الممارسة،ط١،(بيروت: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر – مكتبة رأس النبع للنشر ، ٢٠٠٥) ، ص ٧٣ .

(١٠) أ. د. قاسم حسين صالح ، الأبداع في الفن ، (عمان / بغداد : دار دجلة للطباعة والنشر التوزيع ، ٢٠١١) ، ص ١٠٩ .

(١١) د. عبد العزيز القوصي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٣٣٣ .

(١٢) بارتيك ملاهي ، عقدة اوديب في الاسطورة وعلم النفس ، ترجمة : جميل سعيد ، مراجعة احمد زروي ، (بيروت / نيويورك : مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٢ ص ٧٢ .

(١٣) يراجع : أ . د. قاسم حسين صالح ، المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

(١٤) د. عبد العزيز القوصي ، مصدر سابق ، ص ٣٣٧ .

(١٥) سيجموند فرويد واخرون ، علم النفس والنظريات الحديثة ، ترجمة : فارس متري ضاهر ، (بيروت : دار القلم للطبع والنشر والتوزيع ، ب ت) ، ص ٣٩ .

(١٦) سيجموند فرويد ، الحلم وتأويله ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ط٣ ، (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠) ، ص ١٨ .

(١٧) ينظر : أ. د. قاسم حسين صالح ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

(*) النكوص : مفردتها (نكص) و ((تعني حرفيا رجع من حيث أتى ، وتعني نفسياً العودة إلى أساليب في التعبير والتوحد والسلوك كان الفرد قد تجاوزها خلال نموه وتطوره نحو النضج الراشد . فالنكوص حيلة دفاعية يتم فيها تجنب القلق عن طريق العودة إلى انماط سلوكية تخص مرحلة عمرية سابقة من النمو الجنسي – النفسي)) . أ. د. قاسم حسين صالح ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٩.

(١٨) د. عبد العزيز القوصي ، مصدر سابق ، ص ٣٢٢ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .

(٢٠) د. فيصل عباس ، الانسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي ، ط١ ، (بيروت : دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤) ، ص ٣٨٩ .

(٢١) Freud: Cinq lecons sur la psychanlyse , ed, payot , paris 1968, p 60. نقلا عن د. فيصل عباس ، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية : النظرية – التقنية – الممارسة ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ .

(٢٢) أ . د. قاسم حسين صالح، مصدر سابق، ص ٢٩٧.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .

(٢٤) د. وليد قصاب ، مناهج النقد الأدبي الحديث : رؤية اسلامية ، (دمشق : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧) ، ص ٥٥ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٢٧) د. مصطفى فهمي ، الشخصية في سوائها وانحرافها ، (القاهرة : دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ب ت) ، ص ٥٠ – ٥١ .

(*) الكبت : ((حيلة دفاعية يتم فيها دفع الرغبات والدوافع والأفكار غير المقبولة لدى الأنا إلى اللاشعور . والكبت هو الحيلة الدفاعية الأساسية . حيث يتم عن طريقه طرد الرغبات والأفكار والانفعالات المصاحبة لها هرباً مما يسببه الوعي بها أو تنفيذها من قلق نظراً لتعارضها مع رغبات أخرى أو مع أوامر الأنا الأعلى الذي يفرض تزمناً خلقياً صارماً على الشخصية ، محرماً اشباع تلك الرغبات)) . أ.د. قاسم حسين صالح ، مصدر سابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

(٢٨) د. مصطفى فهمي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٦٢ .

(٢٩) ينظر : د. عبد العزيز القوصي ، مصدر سابق ، ص ص ٣٠٦ ، ٣١٠ .

(٣٠) أ. د. قاسم حسين صالح ، مصدر سابق ، ص ٢٩٩ .

(٣١) د. عبد العزيز القوصي ، مصدر سابق ، ص ٣٢٤ .

(٣٢) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(33) د. عبد الستار إبراهيم ، العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث : اساليبه وميادين تطبيقه ، ط ٥ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١) ، ص ٢٤ .

(٤٣) ينظر : د. فيصل عباس ، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية : النظرية – التقنية – الممارسة ، مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

(٣٥ – ٤١) محمود ابو العباس ، مسرحية العارضة ، جمعية دبا للثقافة في الامارات العربية المتحدة ٢٠٠٠ .

المصادر

١ – أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، (بيروت : دار احياء التراث العربي للنشر ، ٢٠٠٨)

٢– بارتيك ملاهي ، عقدة اوديب في الاسطورة وعلم النفس ، ترجمة : جميل سعيد ، مراجعة احمد زروي ، (بيروت / نيويورك : مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر والتوزيع ،

٣ – جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (تونس :دار الجنوب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)

٤ – جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (تونس :دار الجنوب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)

٥– سيجموند فرويد ، الحلم وتأويله ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ط٣ ، (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠)

٦– سيجموند فرويد واخرون ، علم النفس والنظريات الحديثة ، ترجمة : فارس متري ظاهر ، (بيروت : دار القلم للطبع والنشر والتوزيع ، ب ت)

٧– د. عبد الستار إبراهيم ، العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث : اساليبه وميادين تطبيقه ، ط ٥ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١)

٨– د. فيصل عباس ، الانسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي ، ط١ ، (بيروت : دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤)

٩– د. فيصل عباس ، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية : النظرية – التقنية – الممارسة، ط١،(بيروت: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر– مكتبة رأس النبع للنشر، ٢٠٠٥)

١٠– أ. د. قاسم حسين صالح ، الأبداع في الفن ، (عمان / بغداد : دار دجلة للطباعة والنشر التوزيع ، ٢٠١١)

١١– مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان للتوزيع والنشر ، ١٩٨٤)

١٢– محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، معجم مختار الصحاح ، ط٢ ، (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ٢٠١٤)

١٣– محمد رجب البرمي ، علم النفس (بيروت : دار الكتاب العلمة ، ١٩٩٦م)

١٤– محمود ابو العباس، مسرحية العارضة ، جمعية دبا للثقافة في الامارات العربية المتحدة ٢٠٠٠ .

١٥– د. مصطفى فهمي ، الشخصية في سوائها وانحرافها ، (القاهرة : دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ب ت)
١٦– منصور حسين ، محمد مصطفى زيدان ، الطفل والمراهق ، (القاهرة : مكتبة النهضه المصرية ، الطبعة الاولى، ١٩٨٢)
١٧– د. وليد قصاب ، مناهج النقد الأدبي الحديث : رؤية اسلامية ، (دمشق : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧)